المثل الشعبيّ في لهجة جنوب العراق
دراسة في المعنى السياقيّ

Folk proverb in the Dialect of Southern Iraq
A study in Contextual Meaning

أ. د. فريد حمد سليمان

المديريّة العامّة للتربية في محافظة ذي قار

Prof. Dr. Fareed Hamad Suleiman

General Directorate of Education in Thi-Qar Governorate

الملخّص

يحاول البحث الكشف عن كُنه الأمثال التي بسطنا القول فيها؛ لأنّ المثل عندما يُساق يرافقه قصد قابع وراءه، والأمثال هي خلاصة تجارب الشعوب؛ بوصفها جزءًا من موروثها وثقافتها، فضلًا عن أنّها أصدق وثيقة معبّرة عن حقيقة تأريخيّة بعيدة عن التزوير والتشويه، وكانت رغبتي مصروفة لتفحّص هذا الموروث، الذي يستميل الفطن ويستهوي الحصيف؛ بما فيه من الحكم التي تنمّ عن رجاحة العقل، وما يُستنبط من ذخيرة لغويّة.

وفي معرض دراستي وجدت أنّ الأمثال العامّيّة لا تنفكّ عن الأمثال الفصيحة، فهما سيّان من حيث التكثيف و الإيجاز، وهي أيضًا خزانة مهمّة بوثائق المسكوكات اللغويّة.

الكلمات المفتاحيّة: المثل، الشعبيّ، اللهجة، الجنوب، المعنى، السياق

Abstract

This paper is an attempt to uncover the essence of the proverbs that we have expounded on; because when a proverb is cited, it is accompanied by a concealed intention behind it. Proverbs are the extract of peoples' experiences; as part of their heritage and culture, in addition to being the most honest document expressing a historical truth, far from forgery and distortion. My desire was directed to examine this heritage, which attracts the intelligent and seduces the wise; with what it contains of wisdom that indicates the soundness of their minds, and what they derive from a linguistic repertoire.

Throughout my study, I found that colloquial (folk) proverbs are inseparable from eloquent proverbs, as they are the same in terms of condensation and brevity, and they are also an important treasure of essential linguistic documents.

Keywords: proverb, folk, dialect, south, meaning, context.

المقدّمة

للمثل معنى عميق يختزل شتات تجارب الحياة، ويُعدّ من المرتكزات التي يُستند إليها في الحديث؛ ليذلّل صعوبة ويعالج مشكلة؛ لما يحتويه من عصارة فكر، وخلاصة تجربة، وهو بضاعة الشعوب الرائجة؛ لكونه يعكس ثقافتها، ويهذّب سلوكها، فضلًا عن أنّه كلام مكثّف يُعدّ وسيلة مركزة للإقناع، أو أيسر طريقة للنقد.

وقد تناولت في هذا البحث الأمثال التي علقت في الذاكرة الشعبية المكتنزة بالتراث.

ويُعدّ المثل مجازًا مكثّفًا، لا يعمل في مساحة المعنى الحرفيّ، وإنّما يخضع للتأويل في سياق ما، وممّا لاشكّ فيه أنّ بعضها له جذور فصيحة ذات صبغة بلاغيّة فيما يتعلّق بالمجاز كالكناية والتشبيه.وقد استعنت بالمعجمات اللغويّة؛ لإرجاع المفردات المستعملة إلى أُصولها الفصيحة، وهذا ليس تجنّيًا على اللغة الفصحى، أو إنكارًا لمكانتها بوصفها لغة القرآن ولغة العرب الخالدة؛ وإنّما من أجل حفظ التراث الذي يحمل بين طيّاته إرثًا جمًّا لا يمكن السكوت عنه. ولم أدّخر وسعًا في رفع الغموض عنها وتفكيك شفراتها؛ لتكون بعيدة عن الترميز؛ لتأخذ طريقها للتداول والاستشهاد بها.

توطئة:

الحقيقة والمجاز أُسلوبان بلاغيّان يُحملان على التأويل، وينتميان إلى علم البيان، والحقيقة ((ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة))[1]. وأمّا المجاز فهو ((كلّ كلمة أُريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأوّل فهي مجاز. وإن شئت قلت: كلّ كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم تُوضع له من غير أن تستأنف فيها وضعًا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وُضعت له في وضع واضعها فهي مجاز))[2] في حين تُعدّ الكناية ميدانًا فسيحًا من ميادين البلاغة وهي ((أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكنْ يجيء إلى معنى هو تاليه ورِدْفُه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلًا عليه))[3]، وهي أيضًا ((لفظ أُريد به غير معناه الذي وُضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلّي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، نحو: (زيد طويل النجاد) تريد بهذا التركيب أنّه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الإشارة إليها بشيء تترتّب عليه وتلزمه، لأنّه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة فإذن المراد طول قامته، وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصحّ أن يُراد المعنى الحقيقي، ومن هنا يُعلم أنّ الفرق بين الكناية والمجاز صحّة إرادة المعنى الأصليّ في الكناية، دون المجاز: فإنّه ينافي ذلك))[4].

---

(١) الخصائص: ٢ / ٢٠٨.

(٢) أسرار البلاغة في علم البيان: ٣٠٤.

(٣) دلائل الإعجاز: ٦٦.

(٤) جواهر البلاغة: ٣٥٧.

ويمكن اختزال هذه المقولات حول المجاز والحقيقة، بثنائيّة المعنى الحرفيّ الذي تهتمّ به الدلالة والمعنى غير الحرفيّ الذي يختص به التداول. يقول فرانسوا ريكاناتي: ((الدلالة تهتّم بالمعنى الحرفيّ للكلمات والجمل كما تحدّدها قواعد اللغة، في حين تهتّم التداوليّات بما يعنيه مستعملو اللغة من تلفّظهم بالكلمات أو الجمل... إنّ ما يقصده المتكلّم من كلامه قد يتجاوز أو قد يختلف عن المنطوق الحرفيّ للجملة. لذلك وجب على المستمع في مثل هذه الحالات أن يراهن على الخلفيّة المعرفيّة لتحديد ما يريد أن يقوله المتكلّم وما يدلّ عليه قصده التواصليّ))[1].

وفيما يلي عدد من الأمثال الشعبيّة التي هي محطّ هذه الدراسة مرتّبة ترتيبًا ألفبائيًّا:

(ادفعهه ابگصبه گبل لا تدفعها ابمردي):

نستشفّ العبرة وشحذ الهمّة وعدم التقاعس في الأعمال، إذ يعطينا هذا المثل زخمًا معنويًّا؛ من أجل الاهتمام بالأُمور التي تحدّد مستقبلنا منذ بواكيرها؛ حتّى لا تتّسع مساحتها ويستعصي حلّها، ممّا حدا بالحكماء وأصحاب العقول الراجحة أن يتداولوا هذه الأمثال؛ ليتفادوا الخطب، وهذا على سبيل المجاز، وقد كنّوا عن التأهّب المبكّر وعدم ترك الأُمور - لاسيّما المصيريّة - على عواهنها؛ حتّى لا تتراكم وتصبح شبحًا يؤرّق صاحبه.

نلحظ أنّهم أبدلوا القاف گافًا في كلمة (قصبة وقبل)، إذ قالوا: گصبة وگبل، فالقصبة لا تقوى على دفع السفينة إذا كانت محمّلة بقدر ما تدفعها وهي خفيفة،

---

(١) المعنى الحرفيّ: ١٢- ١٣.

لكن الذي يدفعها بحملها (المردي)، وهو ((خشبة يدفع بها الملّاح))[1].

علينا أن نأتزر باليقظة؛ حتّى لا تتراكم أحمالنا وتكلّفنا ثمنًا باهظًا، لذا نلجأ لدفعها بالقصبة قبل دفعها بالمردي.

(إذا أكرمت أشبع، وإذا طگيت أوجع):

يتضمّن هذا المثل كنايتين: الأُولى تخصّ الكرم، وهو يقول: في حالة كرمك عليك إشباع ضيوفك، وهذا جانب أخلاقيّ، عندما تسدّ رمقهم، وبالوقت نفسه تصبح بمأمن من القدح والتعريض، وكأنّك تقصّ ألسنتهم بالسخاء.

أمّا الكناية الثانية فتشير إلى قّوة الضرب؛ لكي تكون بمأمن من عدوّك؛ كي لا يتمكّن منك، ويحكم قبضته عليك.

(إذا خاويت خاوي أجواد، وإذا زرعت ازرع حماد):

يحثّنا هذا المثل على مؤاخاة الأجاويد، لاسيّما إذا عزمنا على التآخي، فحريّ بنا الابتعاد عن العشوائيّة والعواطف، وإنّما نقف وقفة المتأنّي المتفحّص مثل التي تقصّ نِسيًا، أمّا في حالة زراعة الأرض كان علينا الوقوف مليًّا قبل مزاولة الزراعة؛ لغرض التأكّد من صلاحيّتها، ويبدو أنّهم خصّوا الأرض الحماد؛ لأنّها تتمتّع بالخصب؛ لكون الجهد لا يذهب فيها سدى.

يُكنّى عن الاختيار المحض سواء في الأصدقاء أو في الأرض؛ لكي لا تخيب آمالنا، و لأنّه لم يختر على عجالة. وإنّما أخذ العِظة من هذا المثل.

---

(١) لسان العرب: ٨/ ١٢٣، (مرد).

(اظفرها بايلالها):

أي اظفرها بجلالها، والجلال نسيج من صوف، يُوضع على جسم الفرس؛ وقاية لها من ظروف الطبيعة، وفي بعض الأحيان يعلّق ظفرها، أي: حافرها بالجلال، فإذا استعملت قوّتها تمزّق الجلال، وأضحت عارية تلسعها قساوة الطبيعة، وإذا لم تحرّك ساكنًا تصبح مقيّدة الحركة، فضلًا عن أنّها تتوسّط بين أمرين كليهما صعب عليها، لم تفرّط بجلالها، ولم تستطع الحركة بحرّيّة، تسيطر عليها الحيرة، ويُضرب هذا المثل في تهدئة الأُمور، وقبر الفتنة في مهدها بعيدًا عن التصعيد؛ للحفاظ على اللحمة، وإحكام وشائج العلاقة، والتئام الشمل؛ لأنّ التوتّر وحدّة المزاج يؤولان إلى أُمور لا تُحمد عقباها.

(افلان احدَيده عن الطنطل):

يُشار في هذه الكناية للشخص الذي لا يمتلك شخصيّة، أي: مسلوب الإرادة، فيقُال عنه: (افلان احديده) بالتصغير؛ لكونه مغيّبًا، أي: وجوده من عدمه سواء، وهو تعبير مجازيّ. وهذا يعود إلى الأساطير والحكايات الشعبيّة القارّة في عقول الناس، وهي جزء من حياتهم، والأُسطورة شيء متأصّل منذ القدم في تاريخ الشعوب.

ويبدو أنّهم على يقين بأنّ هناك مخلوقًا يُسمّى (الطنطل) فيتطيّرون منه خيفة أن يتملّك عقولهم ويتخيّل ظهورهم، أي: يركبها ويضلّهم الطريق، وينأى بهم عن مضارب ديارهم، وليس لهم القدرة على التحرر من هذا الشبح الذي يطاردهم، فأخذوا يحملون معهم قطع الحديد حتّى ولو كانت صغيرة، لكي يفزع منها الغول - وذلك بحسب اعتقادهم - الذي هو من نسج الخيال،

وضرب من الوهم، لا وجود له على أرض الواقع، قال صفيّ الدين الحلّيّ:

إنّي رأيتُ بني الزمانِ وما بهم خلٌّ وفيٌّ للشدائد اصطفي
وأيقنتُ أنّ المستحيلَ ثلاثةٌ الغولُ والعنقاءُ والخلُّ الوفي[1]

علمًا أنّ هذا التشبيه بليغ؛ وذلك لذكر طرفي التشبيه، وهما: المشبه، والمشبه به، مع حذف أداة الشبه ووجهه.

(افلان اشفيج بعذيره):

يتردّد هذا المثل بين النساء، لا سيّما اللائي يتزوّج أبناؤهنّ، ولم يلبثوا عندهم طويلًا، فسرعان ما يغادرونهنّ، بحثًا عن الاستقلال، ومن اعتزاز الأُمّ بولدها الذي تعدّه أُخذ منها عَنوة، وكأنّه اختُطف من زوجته في وضح النهار، فتروح الأُمّ تبثّ شكواها إلى الآخرين قائلة: (ابني راح اشفيج بعذيره).

وهذا على سبيل المجاز، والشفيج تصغير(شفج) وهو ذكر الجاموس، والعذار ((ما سال من اللجام على خّد الفرس))[2].

ومن الملاحظ أنّهم صغّروا (شفج) على (اشفيج)، و(عذار) على (اعذيره)؛ لغرض التحقير وتقليل شأنه.

وقد وجدنا الكناية ماثلة هنا، وهي تنبئ عن إحكام السيطرة على الشخص واقتياده مثلما يُقتاد الشفج بالعذار، إذ يصبح مسلوب الإرادة، ولم يلفت جيده إلى أهله، وفي الوقت نفسه شُبّه أيضًا بالشفيج، ويُعدّ التشبيه بليغًا؛ وذلك لذكر طرفي التشبيه، وهما: المشبه، والمشبه به، مع حذف أداة الشبه ووجهه.

---

(١) ديوانه: ١٧٨.

(٢) المعجم الوسيط: ٢/ ٥٩٠، (العذار).

(افلان أكل الطبك والرغفان):

يُطلق هذا المثل على الشخص الذي يستحوذ على ممتلكات الآخرين من دون وجه شرعيّ أو قانونيّ، فيغرق في الانتقادات، والتثريب، والتعريض، ومن المسلّمات أنّ الطبق لا يُؤكل، وإنّما هو وعاء يُصنع من جريد النخيل وخوصه، يُوضع فيه الخبز، لكن هذه كناية عن مدى مصادرة الحقوق، وإحكام القبضة عليها، ولم تُترك منها جزئيّة، إذ تُهضم وتُنتهك من أُناس لا عهد لهم بالمروءة.

(افلان خزنه ابيَرِد):

يُضرب هذا المثل في حالة بروز شخص ما، ولاسيّما إذا كان مغمورًا، وإذا به ينفض غبار الازدراء، فيلمع بريقه، ويتردّد صداه، وهو كناية عن الإهمال والاضطهاد الذي يلحق بعض الأشخاص الذين يتمتّعون بقدرات لا بأس بها، لكنّهم يتعرّضون إلى مصادرة شخصيّاتهم من ذويهم، وعندما تتوفّر لهم الفرصة فيأخذون دورهم وبكلّ جدارة، والخزنة (الكنز)، والجرد ((ثوب خلق، لغة هذيل تقول: لُبْس جَرْدْةٍ))[1]، إلّا أنّهم يبدلون الجيم (ياءً) في كلمة (يرد) بدلًا من (جرد).

والجرد المتهرّئ لا يستميل النظر كالشخص المغمور الذي تتخطّاه الأنظار على الرغم من قدراته المكنونة، وهذا على سبيل المجاز.

(افلان خَنيَر اصلُبي يتگلگل وما ينشلع):

يُقصد في هذا المثل الثبات وعدم المغادرة بسهولة، وهذا على سبيل المجاز،

---

(١) العين: ٦/ ٧٧، (جرد).

وهنا كناية عن الإصرار والرسوخ في المكان حتّى وإن كان الشخص قلقًا إلّا أنّه ليس من السهل اقتلاعه، والتقلقل ((قلّة الثبوت في المكان))[1]، وتُنطق في لغتهم (يتگلگل) بإبدال القاف (گافًا).

نلحظ أنّ كنايتهم انحصرت في (خنجر الاصلُبي)، إذ أبدلوا الجيم ياءً في كلمة (خنجر)، وخصّوا الاصلُبي بالذات المنسوب إلى قبيلة (صلبة)؛ لكونه بدويًّا ويتأبّط الخنجر دائمًا، ومن كثرة الملازمة والاستعمال يصبح يتقلقل، لكنّه لا ينفكّ من خشبته، ويُعدّ هذا التشبيه بليغًا؛ لذكر طرفي التشبيه، وهما: المشبه، والمشبه به، مع حذف أداة التشبيه ووجهه.

فقد يُتوهّم بأنّ شخصًا ما ضعيف قلق وفي الواقع هو قويّ مستقرّ، فلا تحكم على الآخرين بما ترى بعينيك، وإنّما عليك أن تتأمّلهم بذهنك.

(افلان ذيب أمعط)[2]:

تردّد صدى الذئب كثيرًا في الموروث العربيّ، فأصبح مضربًا للأمثال؛ لأنّه يتمتّع بيقظة تفتقر لها بقيّة الحيوانات، وقال حُميْد بن ثور الهلاليّ:

يَنامُ بإحدى مُقلتيهِ ويتّقي ... بأُخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ[3]

والأمعط ((الذي لا شعر على جسده كالذئب الأمعط الذي قد تمعّط شعره... ذئب أمعط يفسّرونه بالخُبث... لأنّه أخبث من غيره... ولصّ أمعط، ولصوص مُعْط، تشبيهًا بالذئاب لخبثهم))[4].

---

(١) تهذيب اللغة: ٨ / ٢٣٣، (قل).

(٢) يُنظر: الفاخر: ٨٩.

(٣) ديوانه: ٣١٧.

(٤) العين: ٢ / ٢٨، (معط).

ويُكنّى على سبيل المجاز عن الشخص الحاذق والمتمرّس بهذا المثل؛ لأنّ الذئب يمتاز بدرجة عالية من اليقظة والحذر، فضلًا عن سرعته، ويُقال: إنّ شعره تمعّط من حدّة الجري، ونتلمس بأنّ الشخص الذي نُعت بهذا النعت يستطيع الإفلات وعدم الظفر به كالذئب الأمعط، وهذا تشبيه بليغ؛ لوجود المشبه والمشبه به، مع حذف أداة الشبه ووجهه.

(افلان ما ايْطيّر طير ابضباب):

من المعلوم أنّ الطير عندما يطير في الضباب سوف يضلّ الطريق، وبالوقت نفسه لا يمكن رؤيته، لاسيّما إذا كان الضباب كثيفًا، وهذا على سبيل المجاز.

يستبطن هذا المثل كناية عن الشخص الذي لا يفرّط بالأشياء جُزافًا، وإنّما يمتلك دراية كاملة عن عواقبها، فالمقصود أنّ الأشخاص الذين لديهم بصيرة ثاقبة، ورؤية فاحصة يفترصون الفرص من أجل اغتنامها، فلا يهدرون جهدهم وأموالهم في ظلّ ظروف غامضة؛ حتّى لا تذهب أدراج الرياح.

(افلان ما ينطي چبيرة اليمر):

نلحظ أنّهم أبدلوا الكاف جيمًا مهموسًا في كلمة (كبيرة)، والجيم ياءً في كلمة (الجمر)، ويُقصد بكبيرة الجمر الجمرة الكبيرة التي تُترك متّقدة؛ لكي تُؤخذ منها النار عند الحاجة؛ وذلك لشحّة وسائل الإنارة في ذلك الوقت، لاسيّما في المناطق الريفيّة النائية، فيعتمدون على هذه الجمرة ويسمّونها (الورثة) و ((ورّث النار، لغة في أرّث وهي الوِرْثةُ، وتوريث النار: تحريكها لتشتعل))[1].

يُكنَى في هذا المثل عن الشخص الشديد الحرص، إذ لا يهون عليه إعطاء

(١) تاج العروس: ٥ / ٣٨٢، (ورث).

الجمرة، فكيف يعطي جمرته وهو لا يمتلك عود ثقاب أو قدّاحة.

(افلان وَيهَه يجَدَّه بيه):

ترتسم علامات البؤس والشقاء على مُحيّا الذين تدركهم الفاقة، وتتّسع ملامح الإزراء على هيئتهم، وتبرز هذه العلامات أيضًا على وجوه الذين يرتكبون خطأ جسيمًا فيستجدون العطف؛ لغرض الإشفاق عليهم. وبما أنّ الشخص الذي يمارس مهنة الكدية تظهر عليه علامات العوز؛ لكونه أضحى دريئة لسهام الإملاق، فيستميل منظره اهتمام الآخرين ويحفّز مروءتهم؛ لسدّ رمقه.

ويُكنّى في هذا المثل - بإبدال الجيم ياءً في كلمة (وجه) - عن الذين يضعون أنفسهم في مواقف لا يُحسدون عليها؛ لأنّها تُسهم في إراقة ماء وجوههم، وهذا على سبيل المجاز.

ومعلوم أنّ هذا المثل مشحون بحمولة عاطفيّة عالية، ففي الوصف مضمر اجتماعيّ يتطلّب مراعاة الموصوف.

(افلان يغمّس على الشعواط):

نرى بعضهم يعيش على بارقة أمل واهية، ويتعكّز على الأماني الباطلة؛ لكونه غير مقتدر على تحقيق ما تصبو إليه نفسه وتتوق به رغبته، فلا يفارقه الأمل؛ لعلّه يدرك مبتغاه ويحقق مناه، و ((شعْوَط الدواء الجُرح، والفُلفُل الفم، إذا أحرقه وأوجعه))[1]، ويقصدون بالشعواط رائحة الخبز واللحم المحترق، وهذا على سبيل المجاز، ويُكنّى به عن الشخص العاجز، الذي لا يتمكّن من إدراك

(١) تاج العروس: ١٩ / ٤١٩، (شعط).

طموحه بأنّه يجعل الشعواط إدامًا له، وهذا استنزاف للوقت، فعليه الإعراض عن هذه الترّهات وما هي إلّا بضاعة العاجزين والمفلسين.

(افلان يقرا المَمْحِي):

يُحمل هذا المثل على سبيل المجاز؛ لأنّ الممحوّ لا يُقرأ، ويُكنّى به عن الشخص الحصيف صاحب البصيرة الثاقبة والدراية الواسعة، إذ يتمكّن من تفكيك المُرمّز والمُشفّر والمُلغّز؛ فلا تعييه معرفة الأُمور، حتّى وإن كانت غير واضحة المعالم.

(افلان ينفخ بيراب مسرود):

نلحظ أنّهم أبدلوا الجيم ياءً في كلمة (جراب) وهو ((وعاء من إهاب الشاء لا يُوعَى فيه إلّا يابس))[1]، وسردت ((الشيء سَرْدًا وسرَّدته ثَقَبته))[2]، يُكنّى في هذا المثل عن الكلام غير المجدي والبعيد عن الواقع وهو مجرّد أوهام مثل الذي ينفخ في جراب ممزّق، إذ لا فائدة من النفخ به، وهذا على سبيل المجاز.

(الله لا يخلّي بالمطيعم اتبينات):

يدعون على الشخص غير المتّزن، لاسيّما الذي يصبح ميسور الحال بعد حين، مُتناسيًا أيّام الضنك فيصيبه البطر، والمطيعم تصغير (مطعم) وهو المكان الذي يُوضع فيه علف الخيول مثل التبن والحشيش، وصغّروا مفردة (اتبينات)؛ لغرض التقليل، فالخيول عندما تأكل ما يُقدّم لها تحاول قطع رباطها؛ نتيجة

---

(١) لسان العرب: ٢ / ١١٦، (جرب).

(٢) المخصّص: ١ / ٥١٣، (سرد)

تـغيّر سـلوكها فتصبـح سـلبيّة؛ لكونهـا شـبعت بعـد جـوع، ويبقـى صاحبهـا على حـذر منهـا، فـربّما تضربـه ضربـة تـودي بحياتـه.

ويُكنّـى في هـذا المثـل على سـبيل المجـاز عـن الشـخص الـذي كان معدمًـا، لكنّـه بعـد ذلـك أصبـح مـن أهـل المال والجاه، إذ بانـت عليـه علامـات التكبّر والخُيلاء، فأضحـى كالخيـول المتمـرّدة عندمـا يختـلّ نظـام سـلوكه، ويظهـر لنـا مـن المثـل أنّـه دعـاء لـه لا دعـاء عليـه؛ حتّـى لا يتشـوّه ويفتضـح أمـره.

(بالصبخه ولا عِد صبحه):

يُقـال: إنّ رجلًا بعـث في يـوم مـا كمّيّـة مـن اللبـن إلى أُختـه (صبحـة) بيـد زوجتـه، فما آن لها إيصالـه: إذ أراقتـه في أرض سـبخة، وهـي ((الأرض المالحـة... التي تعلوهـا الملوحـة ولا تـكاد تُنْبـت إلّا بعـض الشـجر))[1]، ونلحـظ أنّهـم أبدلـوا السـين صـادًا، وهنـاك بعـض الحاقديـن الذيـن تتضـاءل مروءتهـم، ويقلبـون ظهـر المجـن لصلـة أرحامهـم؛ لحرمانهـم مـن أيّ مكسـب مثـل التـي أراقـت اللبـن في العـراء مـعبّرة عـن حقدهـا ولؤمهـا.

ويُكنّـى في هـذا المثـل عـن الإجحـاف وهـدر الحقـوق عنـوة بدافـع الحرمـان، وهـذا يتنـافى مـع القيـم الأصيلـة.

(برهان وانگطع خيطه):

البرهـان طائـر برّيّ يقطـن الأهـوار، وعندمـا ينقطـع شـخص عـن صلـة أرحامـه او أصدقائـه فيُقـال عنـه: (افلان برهـان وانگطـع خيطـه) بإبـدال القـاف گافـا في كلمـة (انقطـع)، وهـذا على سـبيل المجـاز، ويُـردّد الأقـارب والأصدقـاء هـذا المثـل

(١) لسان العرب: ٤ / ٣٤٧ (سبخ)

على الشخص الذي لم تغبّر قدماه لزيارتهم، وكأنّه طائر البرهان الذي انقطع خيطه المقيّد به عندما كان في قبضة الصيّاد.

ويُكنّى في هذا المثل عن القطيعة اللافتة للنظر التي لا مسوّغ لها، ويُعدّ البرهان من الطيور الخجولة التي تقضي معظم أوقاتها داخل القصب، ومن هنا يتماثل الإنسان المنعزل مع البرهان في خجله وعزلته، فعندما يفلت البرهان لا يُحلّق بعيدًا، بل على العكس تمامًا فإنّه ينزوي ويختبئ، وكذلك الفرد الذي يُطلق عليه هذا المثل، يؤخذ بنظر الاعتبار عزلته وانزواؤه.

(راويته إذان الفرس):

عندما يحدث شجار بين المتخاصمين يقوم أحدهما بتهديد الآخر؛ لكي يثير المخاوف عند خصمه، فيقول: (راويته إذان الفرس)، و (راويته) فَاعَلْتُهُ من (رَاءَيْتُهُ) والمثل على سبيل المجاز.

ويُكنّى بهذا المثل عند إثارة الرعب في نفس الخصم؛ لأنّ الخيول كانت في سابق الزمان تُستعمل في الغزو والغارات، وخصّوا الأُذن من دون سائر جسد الفرس؛ لأنّه أراه أصغر ما بالفرس، أي: جزئيّة منها، وهي كافية لإرهابه ولمراجعة ذاته والعدول عمّا عزم عليه.

(شِحَخ الفالة عد خشم الگطّان):

شحخ الفالة أي: وضعها أمام الگطان، والفالة حديدة ذات خمسة أصابع مدبّبة، تُستعمل لصيد الأسماك، والگطان: نوع من الأسماك الكبيرة، ويُكنّى عن التهيّؤ للأُمور والتحسّب لها قبل استفحالها وتفاقمها، فيستعصي حلّها، وتتّسع مساحتها، ونلحظ أنّهم خصّوا الگطان من دون سائر الأسماك؛ لكونه

كبير الحجم، وليس من السهل اصطياده، فيضعون الفالة أمامه؛ لكي يتمكّنوا من صيده.

ويتّضح لنا أنّ المراد هنا هو اليقظة والحذر لأيّ طارئ كان، ووضع الاحتياجات والبدائل؛ تحسّبًا لما يحدث.

(طِحِت بين حانه ومانه):

يُقال: إنّ رجلًا تزوّج امرأتين إحداهما (حانة) والأُخرى (مانة)، وكان رأسه قد اعتلاه الشيب، فعندما يذهب إلى (حانة) تقول له: شعرك أسود عليك إزالة الشعر الأبيض فيلبّى طلبها، وعندما يذهب إلى (مانة) تقول له: شعرك أبيض عليك إزالة الشعر الأسود فلم يرد طلبًا، فظلّ متأرجحًا بين (حانة) و(مانة) إلى أن أصبح حاسر الرأس.

ويُكنّى في هذا المثل عن الشخص الذي يتوسّط بين أمرين كلاهما صعب عليه، ولم يتّخذ موقفًا حازمًا حيال الأُمور التي تُعرض عليه.

(العريان يطيح على المتوزّر):

يُستعمل هذا المثل على سبيل المجاز، ويُتداول عندما ينتشر الفقر، ويصبح شبحه مُخيفًا، ويرتفع سُلّم البؤس، وتتهرّأ الملابس، فيأخذ الناس أحدهم يلوذ بالآخر، ويرتمي العريان بأحضان المؤتزر؛لأنّه أفضل حالًا منه.

ويُكنّى في هذا المثل عن الظروف القاهرة التي تُلجئ الأسوأ عشيًا إلى الذي أفضل منه؛ لغرض إعانته.

(العطشان يكسر الحِب):

يُضرب هذا المثل على سبيل المجاز للشخص الذي يروم الحصول على أشياء وهو بأمسّ الحاجة إليها، فعليه السعي من أجل الحصول على مرامه كالشخص الذي يدركه العطش فلم يجد إناءً يغترف به؛ ليملأ جوفه الصادي، و((الحبّ الذي يُجعل فيه الماء فهو فارسيّ معرّب وهو مولّد، قال أبو حاتم: أصله خنب فعُرّب فقلبوا الخاء حاءً وحذفوا النون فقيل: حبّ))[1].

ويُكنّى عن قوّة الإرادة، وعلوّ الهمّة، والدافعيّة الشديدة، فالعطشان يتسلّق الحبّ، ممّا يعرّضه للكسر أحيانًا. وكذلك من يبغي أمرًا ضروريًّا يعمل المستحيل؛ لغرض بلوغ غايته.

(الفرَخ من زاغوره والزرَع من خافوره):

تبرز هنا كناية التفاؤل، والحدس، والتفّرس، والمقصود بالفرخ الطفل الصغير، إذ يتفاءلون به ولاسيّما عندما تظهر عليه مخايل الذكاء والفطنة منذ صباه، وكذلك الزرع يُؤخذ عنه طابعًا منذ نشأته، فيتّضح لناظره أنّه سوف يعطي ناتجًا متميّزًا، و((الخافور ضرب من النبت))[2].

(گص راس ايموّت خبر):

المراد هنا قبر الخبر في مهده، ومن الأجدر بالشخص أن يكون على درجة عالية من التحرّز؛ خوفًا من تفّشي السرّ، ويرمي المثل إلى كناية وهي عدم

---

(١) جمهرة اللغة: ١ / ٦٤، (حبب)

(٢) المصدر نفسه: ٢ / ١٢٠٦

البوح بما تراه يجعلك في حقل الشبهات، أو يجعلك محطّ أنظار الاتّهام، وبما أنّ الرأس هو مصدر الكلام فإذا أُبين يموت الخبر، وهذا على سبيل المجاز، والمراد كتم الأسرار؛ لأنّ الأخبار لا تموت، وإنّما هو كناية عن عدم نشرها، وقد أبدلوا القاف گافًا عندما قالوا: (گص) بدلًا من (قصّ).

(كلّ امعلم ربحان بس معلم الرجال خسران):

يطالعنا هذا المثل في كناية وهي عن حالات الإحباط واليأس، الذي يتعرّض لها الآباء عندما يتلمّسون عدم القدرة في أبنائهم على إدارة شؤونهم بأنفسهم، بعد ما تكثر عثراتهم، فيحاولون إصلاحها إلّا أنّهم لا يفلحون.

وبما أنّ الرجل عليه إصلاح شأنه بنفسه؛ حتّى يتمكن من تجاوز الأزمات التي يتعرّض لها في أثناء مسيرة حياته، لكـه عندما يصبح عاجزًا يحتاج للتوجيه.

ونلحظ أنّهم أطلقوا مثلهم هذا وهم في ألم وحسرة؛ لأنّهم استنزفوا وقتًا وبذلوا جهدًا في تقويم أبنائهم، فكان منهم استغلال هذا الوقت والجهد في مجال آخر، إذ كلّ المعلّمين يربحون في مجال تعليمهم إلّا الذين يعلّمون الرجال، فهم في حالة خسران.

(كل خاينه وعليها باينه):

يتضمّن هذا المثل كناية عن الشخص الذي يمارس الخيانة، لكنّه مهما حاول التستّر عليها إلّا أنّها ستظهر، وينكشف زيفه، ويفتضح أمره بالأدلّة القاطعة، وقد أبدلوا الهمزة ياءً؛ للسهولة في كلمة خائنة وبائنة.

(كل طويلة وحِط بيها بارود):

نلحظ أنّ المثل يشير إلى العموم، ويُقصد بالطويلة البندقية بصرف النظر عن نوعها؛ لأنّ البنادق كانت ذات طول يلفت النظر، فضلًا عن أنّها تُحشى بالبارود.

ويُكنّى عن التحدّي، ولاسيّما عندما يحتدم الشجار، وتُثار الحفيظة، ويتراشق المتخاصمون بنبال الكلام، وكأنّهم لا يعبأ أحدهم بالآخر، غير مدركين خوفهم من البندقية التي أصبحت خارج دائرة التأثير من خلال مثلهم.

(كل لحية ولهه مگص):

من المعلوم أنّ المجتمع قائم على التفاوت وبحسب المقامات والمراتب الاجتماعيّة. ومن الملاحظ أنّهم خصّوا اللحية؛ لأنّها تُضفي سمة الوقار على الشخص الذي يطلقها، وجاء في مثلهم (زيّن الشارب وأكرم اللحية).

ويبدو أنّ الجانب الاجتماعيّ كان طاغيًا عندما ساقوا هذا المثل، فهو يجسّد التفاوت في المكانة الاجتماعيّة، فأصبح التعامل مرهونًا بالمقامات، واللحية هي كناية عن الشخص، وهذا على سبيل المجاز، و(المگص) الذي تُحلَق به وهو (مقصّ)، لكنّهم أبدلوا القاف گافًا، والمراد هنا أنّ التعامل متفاوت بين شخصيّات المجتمع وبحسب ثقلهم وكيانهم.

(لا تِتْرَيَّ من بارح مطر):

من المشهور أنّ الأمطار تشحّ في فصل الصيف، لاسيّما في العراق، ويُكنّى عن الشخص البخيل الممسك عن العطاء مثل وقت (بارح) الذي تمسك

فيه السماء عن المطر، و(بارح) هو ((الريح الحارة في الصيف))[1]، فعلينا أن لا ننتظر من الشخص البخيل أن يجود علينا بالعطاء، إذ نيأس منه مثلما نيأس من سقوط الأمطار صيفًا، وهذا على سبيل المجاز، ونلحظ أنّهم أبدلوا الجيم ياءً في كلمة (تترجّى).

(لا تْگول سمسم لَّن تِلهَم):

يحثّنا على التزام الصمت، وعدم البوح بالأُمور التي ضُربت لها المواعيد، لحين أن تصبح حقيقة، أي مثل السمسم لا يُعوّل عليه ما زال بالحقل، إلى أن يصبح في متناول اليد، وتمارس لهمه، و ((اللام والهاء والميم أصل صحيح يدلّ على ابتلاع شيء... تقول العرب: التهم الشيء: التقمه))[2].

وضربوا المثل بالسمسم من دون سائر المزروعات؛ لكونه يُؤكل مباشرة، أي: لا يحتاج إلى طهي أو طحن، فضلًا عن أنّ فيه فوائد جمّة، فالكناية التي يتضمّنها المثل هي التريّث وعدم الإفصاح عن الأشياء التي تترقّبها لحين الإمساك بها، ويتردّد صدى هذا المثل في المجتمع الذي تنعدم فيه الثقة، وتصبح الكلمات مجرّد ظواهر صوتيّة غير مرتبطة بعهود أخلاقيّة، وقد أبدلوا القاف في كلمة (تقول) گافًا.

(ماكو زور يِخلا من الواويّه):

ينمو شجر الزور - بحسب ما يصطلحون عليه - بكثافة، لا سيّما في الريف، إلّا أنّ اسمه العلميّ الطرفاء ((وهي أربعة أصناف منها الأثل الواحدة

---

(١) لسان العرب: ١ / ٢٧٩، (برح).

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٩٠٧، (لهم).

طرفاءة))[1]، ويجمع ابن آوى على بنات آوى، وفي لهجتهم يجمع على (واويّه)، وبما أنّ هذا الحيوان يمتاز بالحيلة والمكر ويختبئ في شجر الطرفاء؛ فهو يتّخذه ملاذًا آمنًا له، وفي الوقت نفسه يُعدّ نقطة شروعه للسطو.

وقد كنّوا في هذا المثل عن الأشخاص الذين انحرفت سلوكيّاتهم أيّما انحراف، فهم لا يقلّون شأنًا عن بنات آوى.

ونستخلص من ذلك أنّ كلّ الأماكن لا تخلو من المحتالين والمباغتين مثلما شجر الطرفاء لا يخلو من بنات آوى، وهذا على سبيل المجاز.

(ما يضيع گعود وعد أهله فرس):

يُضرب هذا المثل من أجل بعث الطمأنينة في النفوس المحبطة، التي ينتابها القلق في حالة فقدانهم شيئًا ثمينًا، ((القُعُود والقُعُودة من الإبل ما يقتعدها الراعي فيركبها ويحمل عليها زاده))[2]، وأبدلوا القاف گافًا في (قعود)، ويُكنّى في هذا المثل عن الأشياء المفقودة، فسوف يتمّ العثور عليها طالما هم جادّون في البحث عنها، مثلما يستطيعون إدراك القعود في حالة فقده؛ لأنّهم يمتلكون فرسًا تخفّف عنهم العناء في أثناء البحث عنه، ويتمكّنون من اللحاق به أينما حلّ.

(هل المنيل ما ياب ازگار):

أخذ هذا المثل مساحة واسعة في المناطق الريفيّة؛ لأنّ جُلّ المجتمع الريفيّ كان يعاني من تدنّي الحالة المعيشيّة، فكانوا يعتمدون بالدرجة الأُولى على الزراعة،

---

(١) القاموس المحيط: ٣/ ١٧٢، (طرف).

(٢) العين: ١/ ١٤٢، (قعد).

ويذهب الذين لا يمتلكون حقولًا زراعيّة؛ لغرض الحصاد مقابل كمّيّة من الطعام يُسمّى (أزگار)، ومثل هذا العمل يتطلّب منجلًا حادًّا؛ لكي يُسعف صاحبه في حصاد أكبر مساحة، فإذا كان المنجل كهمًا، أي: متهتم الأسنان فيخيّب آمال صاحبه في أثناء الحصاد.

ويُكنّى هنا بكلمتي (منجل وجاب) - بإبدال الجيم ياءً - عن الشخص الفاتر غير الفعّال في المجتمع بالمنجل الكليل، وهذا على سبيل المجاز؛ لأنّه غير قادر على أخذ حقّه من الآخرين، وهذا يدلّنا على أنّه لا يمتلك مقوّمات الشخصيّة التي تؤهّله لانتزاع حقه. فأصبح كالمنجل الذي لم يُمكّن صاحبه من الحصول على قُوْته.

الخاتمة

١- يجسد المثل القيم الاجتماعيّة والموروث الذي يعكس وعي المجتمع وثقافته، عن طريق الأمثال يتّضح رُقيّه من هبوطه، فضلًا عن أنّ الأمثال تعالج كثيرًا من المشاكل التي يعاني منها المجتمع، وتُعدّ مرتكزًا يرمّم ما عُطب من السلوكيّات المشوّهة؛ لأنّها مليئة بالحكمة والعِبَر.

٢- ضمّت الأمثال مفاهيم تصوّر صراع العنف واللاعنف، فبعضها يثير الحفيظة ويوسّع دائرة الخلاف، في حين بعضها الآخر يُقلّص من حّدة الخلاف، وهذا ما تلمّسناه في جملة ما عُرض منها.

٣- نلحظ فيها جانبًا تهكّميًّا عن طريق وصفهم للذين ضُربت بحقّهم الأمثال، بعدما وصفوهم بنعوت قاسية تكاد تفقدهم هُويّتهم الإنسانيّة.

٤- ثنائيّة التفاؤل والتشاؤم ماثلة في أذهانهم، فالأمثال لها دور في معالجة الجوانب النفسيّة، إذ تحفّز المعنويّات، وتقلّل الإحباط.

٥- وجدنا الأمثال العامّيّة لا تنفكّ عن الأمثال الفصيحة، فهما سِيّان من حيث التكثيف الدلاليّ والإيجاز اللفظيّ والأساليب البلاغيّة المتمثّلة في علم البيان كالتشبيه والمجاز والكناية بحسب ما عُرض في أثناء هذا البحث، فهما يغترفان من رافد البلاغة العربيّة.

٦- الأمثال خزانة مهمّة بوثائق المسكوكات اللغويّة، فهي تمثّل مرحلة من مراحل تطوّر اللغة، وتحافظ على الصيغة المتطوّرة، وتنقلها كما نُطقت من غير أن يشوبها النطق المعاصر.

٧- عقدت الأمثال صورة من المواءمة مع الطبيعة والوجود غير الإنسانيّ، وهي بهذا تظهر طبيعة قائليها. وكيفيّة استمتاعهم بالحياة.

قائمة المصادر

١- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانيّ (ت ٤٧١ هـ)، تح: السيّد محمّد رشيد رضا، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨ م.

٢- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن مرتضى الزَّبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحقّقين، (د. ط.)، دار الهداية، (د. ت.).

٣- تهذيب اللغة، محمّد بن أحمد الأزهريّ (ت ٣٧٠ هـ)، تح: محمّد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠١ م.

٤- جمهرة اللغة، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ)، تح: رمزي منير بعلبكيّ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧ م.

٥- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ، ط٤، منشورات إسماعيليان، قمّ، ١٣٨٦ هـ ش، ١٤٢٨ هـ ق.

٦- الخصائص، ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ)، تح: د. عبد الحميد هنداوي، ط٢، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ.

٧- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجانيّ، تح: عبد الحميد هنداوي، (د.ط.)، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١م.

٨- ديوان حُمَيْد بن ثور الهلاليّ، جمعه وحقّقه د. محمّد شفيق بيطار، ط١، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنيّة، ٢٠١٠ م.

٩- ديوان صفيّ الدين الحلّيّ، أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا، (د.ط.)،

١٠- دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩ م.

١١-العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ)، تح: د.

مهديّ المخزوميّ و د. إبراهيم السامرّائيّ، (د. ط.)، دار ومكتبة الهلال، مصر، (د. ت.).

١٢-الفاخر، أبو طالب المفضّل بن سلمة (ت٢٩١هـ)، تح: عبد العليم الطحاويّ، (د. ط.) الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٧٤م.

١٣-القاموس المحيط، مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروز آباديّ (ت ٨١٧هـ)، (د. ط.)، دار الجيل، بيروت - لبنان، (د. ت.).

١٤-لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١ هـ)، اعتنى بتصحيحه أمين محمّد عبد الوهّاب، ومحمّد الصادق العبيديّ، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠ م.

١٥-المخصّص، أبو الحسن عليّ بن سيده (ت٤٥٨هـ)، تح: خليل إبراهيم جفال، (د.ط.)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.

١٦-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، اعتنى به د. محمّد عوض مرعب، فاطمة محمّد أصلان، (د. ط.)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨م.

١٧-المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيّات، حامد عبد القادر، محمّد النجار، (د.ط.)، الناشر: مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، دار الدعوة، (د.ت.).